

صدرالدین شیرازی، محمدبن ابراهیم، ۱۰۵۰-۹۷۹ق
اسرارالایات / [محمدبن ابراهیم صدرالدین شیرازی؛ تصحیح
محمد موسوی]. - تهران: حکمت، ۱۳۸۵. شازده + ۵۶۶ص.

ISBN 964-8113-16-2

فهرستوی براساس اطلاعات فیاض

عمومی

کتابنامه به صورت زیر نویس

۱. خداشناسی - جنبه های قرآنی - فلسفه اسلامی. الف.

موسوی، محمد، مصحح، ب. فلسفه اسلامی. ج. عنوان.

۱۸۹/۱

BBR ۱۰۶۶

۴۶۲۵۸ - ۸۴ م

کتابخانه ملی ایران

مجموعه آشنایی با فلسفه اسلامی ۲۲

صدرالمتألهین محمد بن ابراهیم شیرازی

اسرار الایات

به انضمام تعلیقات حکیم مولی علی نوری

تحقیق سید محمد موسوی

مؤسسه انتشارات حکمت

www.hekmatpub.com

info@hekmatpub.com

امیرالایات / محمد بن ابراهیم صدرالدین شیرازی

تحقیق سید محمد موسوی

طراح جلد محمد فدائی

چاپ اول ۱۳۸۵ ه.ش / ۱۴۲۷ ه.ق / ۲۰۰۶ نسخه / ۶۰۰۰ تومان

چاپ و صحافی چاپخانه انتشارات حکمت

حروفچینی و صفحه آرایی انتشارات حکمت

تهران، خیابان انقلاب، ابتدای خیابان ابو رجحان، شماره ۳، کدپستی ۱۳۱۵۶۹۴۱۶۲

تلفن ۶۶۲۱۵۸۷۹ - ۶۶۴۶۱۲۹۲ / فاکس ۶۶۴۰۶۵۰۵

(کلیه حقوق محفوظ و مخصوص ناشر است)



فهرست

مقدمه مصحح.....	سيزده
مقدمة المؤلف.....	٣
المقدمة فى بيان طريق السالكين إلى الله و الراسخين فى العلم.....	٤
الطرف الاول. فى علم الربوبية.....	٢٩
— المشهد الاول فى معرفة الحق الاول جل ذكره و وحدانيته.....	٢٩
— المشهد الثانى فى صفاته و اسمائه.....	٣٩
— المشهد الثالث فى دوام الهيته و جوده و رحمته و كيفية صنعه و ابداعه.....	٧١
الطرف الثانى فى افعاله سبحانه و كيفية صدورها عنه و رجوعها إليه تعالى.....	٨٥
— المشهد الاول فى حدوث هذا العالم و كون وجوده مسبوقا بالعدم الزمانى.....	٨٥
— المشهد الثانى فى تحقيق النهاية و اثبات الغاية كالبداية للعالم و ما فيها.....	٩٥
— المشهد الثالث فى احكام الخلوقات الواقعة فى سلسلة العود إلى الله.....	١٢١
— المشهد الرابع فى بيان النبوة و احكامها.....	١٥٣
الطرف الثالث فى علم المعاد و بيان حشر النفوس و الاجساد.....	١٦٥
— المشهد الاول فى بيان الفطرة الاولى للانسان و العود إليها و فى التقابل بين مراتب البدء و النهاية.....	١٦٥
— المشهد الثانى فى الإشارة إلى علم الساعة و سر القيامة.....	١٦٦
— المشهد الثالث فى تحقيق القبر و عذابه و ثوابه.....	١٧٦
— المشهد الرابع فى البعث و الحشر.....	١٧٩
— المشهد الخامس فى الصراط.....	١٨٤
— المشهد السادس فى نفخ الصور.....	١٨٩
— المشهد السابع فى الإشارة إلى نشر الصحف و ابراز الكتب و كرام الكاتبين.....	١٩٥
— المشهد الثامن فى الميزان و الحساب.....	١٩٩
— المشهد التاسع فى الجنة و النار و الإشارة إلى ابواب النيران.....	٢٠٨
— المشهد العاشر فى الإشارة إلى الزبانية و عددها.....	٢١٢
— المشهد الحادى عشر فى الإشارة إلى درجات الجنان و دركات النيران.....	٢١٤
— المشهد الثانى عشر فى سر شجرة الطوبى و شجرة الزقوم.....	٢١٦
تعليقات الحكيم النورى.....	٢٢٣
فهرستها.....	٥٢٣

فهرست تفصیلی کتاب

مقدمه مصحح	سیزده
مقدمة المؤلف	۳
المقدمة فى بيان طريق السالكين إلى الله والراسخين فى العلم	۴
قاعدة فى ان رأس السعادات والحسنات هو اكتساب الحكمة الحقّة	۴
قاعدة فى ان الجهل بالمعارف الإلهية وجودها هو منشأ العذاب يوم القيامة	۶
تنبيه فى ان المراد من الكفر الذى هو منشأ العذاب انما هو الجهل المركب المشفوع بالاستكبار	۷
تنبيه فى ان حب الدنيا والكفر متلازمان والجهل بالمعارف الإلهية يوجب السقوط عن الفطرة	۹
قاعدة فى ان منهج التوحيد هو مسلك جميع الانبياء والاولياء وان طريقهم فى العلم واحد	۱۲
قاعدة فى نعوت القرآن واساميه	۱۳
قاعدة فى وجوه الفرق بين كلام الله وكتابه	۱۷
دقيقة كشفية فى ان الشئ الواحد قد يكون كلاما وكتابا باعتبارين	۱۹
قاعدة فى وجوه الفرق بين انزال كلام الله على قلب النبی الختمی (ص) وبين انزل الكتب على سائر الانبياء	۱۹
قاعدة فى الاشارة إلى عمدة مقاصد الكتاب الالهى واصول معاقده واحكامه	۲۲
الطرف الاول فى علم الربوبية	۲۹
— المشهد الاولى فى معرفة الحق الاول جلّ ذكره و وحدانيته	۲۹
قاعدة فى اثبات وجود الحق تعالى ببرهان الصديقين	۲۹
قاعدة فى تحقيق الايمان بالله واليوم الآخر	۳۰
تنبيه فى ان كلام الايمان والكفر على ضربين وبيان احكامهما	۳۱
قاعدة فى توحيده تعالى واحديته و صمديته	۳۴
قاعدة فى توحيده فى الالهية كما فى وجوب الوجود	۳۶
قاعدة فى توحيده تعالى فى حقيقة الوجود	۳۷
تنبيه مشرقى فى قاعدة بسيط الحقيقة	۳۹
— المشهد الثانى فى صفاته واسمائنه	۳۹
قاعدة فى توحيد صفاته الكمالية	۳۹
قاعدة فى تحقيق اسمائه تعالى	۴۱
قاعدة فى تعيين الاسم الاعظم ومظهره	۴۵

٤٦	قاعدة في علمه تعالى بذاته وبغيره
٤٧	قاعدة في مراتب علمه تعالى بالاشياء اجمالاً وتفصيلاً
٤٩	قاعدة في ان صدور الاشياء المكوّنة عن علمه تعالى
٥١	قاعدة في شمول قدرته وانبساط وجوده وسعة رحمته على الاشياء
٥٣	قاعدة في تحقيق كلامه تعالى
٥٦	قاعدة في دوام امره وخطابه للمكوّنات
٥٨	قاعدة في سرّ الحروف المقطّعة القرآنية
٦٠	قاعدة في ان العالم الربوبي والصقع الالهى عظيم جدا
	قاعدة في ان صور المكوّنات متمثلة في نفوس السّماوات على الوجه الجزئى والاشارة إلى
٦١	معنى القضاء والقدر واللوح والقلم
٦٣	قاعدة في كيفية نزول القضاء عند الله وبروز الاحكام من مكان الغيب إلى مظاهر الشهادة
٦٦	عقدة وحل
٦٦	وهم واناة
٦٩	حكمة عرشية
٦٩	تعليم تمثيلي
٧١	— المشهد الثالث في دوام الهيته وجوده ورحمته وكيفية صنعه وابداعه
٧١	قاعدة في قدم الفيض ودفع الشكوك الموردة
٧٤	قاعدة في تحقيق كلماته الثمّات
٧٦	قاعدة في ان الله سبحانه فاعل لما سواه وموجد لما عداه على اربعة انحاء
٧٩	قاعدة في عالم امره تعالى
٨٢	قاعدة في ان الموجودات متوجّهة نحو المبدأ الاعلى طالبة للحق مشتاقة إلى لقائه
٨٥	الطرف الثانى فى أفعاله سبحانه وكيفية صدورهما عنه ورجوعها إليه تعالى
٨٥	— المشهد الاول فى حدوث هذا العالم وكون وجوده مسبوقاً بالعدم الزمانى
٩١	حكمة ايمانية وحجة قرآنية
٩٤	قاعدة فى ان خلق العالم الكبير وبعثه كخلق العالم الصغير وبعثه
٩٥	المشهد الثانى فى تحقيق النهاية واثبات الغاية كالبداية للدنيا وما فيها
١٠٢	تنبيه فى قبور الاجساد والارواح
١٠٣	تنبيه آخر فى موت الانسان الكبير أى العالم
١٠٣	قاعدة فى الخلق والامر
١٠٧	قاعدة فى كيفية البدء والاعادة والاشارة إلى سلسلتى الهبوط والصعود
١٠٨	قاعدة فى تحقيق الخلافة الالهية
١١٠	قاعدة فى الحقيقة المحمدية مظهر اسم الله الجامع الاعظم
١١٣	قاعدة فى حقيقة الدنيا والآخرة
١١٨	قاعدة فى اللوح والقلم

١١٩	قاعدة فى العرش و الكرسى
١٢١	— المشهد الثالث فى احكام الخلوقات الواقعة فى سلسلة العود الى الله
١٢١	قاعدة فى المركبات الناقصة
١٢٣	قاعدة فى خلق أنواع المعادن
١٢٤	قاعدة فى خلقه النبات و الحيوان و الانسان
١٢٥	قاعدة فى ان الغرض من تكوين الموجودات الطبيعية و النباتية و الحيوانية خلقه الإنسان ...
١٢٧	قاعدة فى خلقه الانسان
١٢٩	قاعدة فى ذكر العناصر التى منها تكوّن الانسان
١٣٢	قاعدة فى فضل معرفة النفس الإنسانية
١٣٤	قاعدة فى الاشارة إلى قوى الاشياء التى جمعت فى الانسان
١٣٦	قاعدة فى ذكر تكوّن الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير إنساناً كاملاً
١٣٩	قاعدة فى تفاوت افراد الناس و اختلافهم
١٤٠	تذكرة فى اسباب تفاوت الناس
١٤٢	قاعدة فى ان افراد البشر مجردة عن البدن الطبيعى لاعن الصورة المثالية
١٤٢	قاعدة فى ان افراد الانسان تصير متخالفة الحقائق فى النهاية بعد ما كانت متفقة فى البداية .
١٤٤	قاعدة فى ان الروح الناطقة باقية بعد خراب البدن
١٤٧	قاعدة فى بطلان التناسخ
١٤٩	كشف خفاء لبسط ضياء
١٥٢	تذكرة قرآنية
١٥٣	— المشهد الرابع فى بيان النبوة و احكامها
١٥٣	قاعدة فى اثبات الشجرة النبوية و فضلها على جواهر ساير البرية
١٥٤	قاعدة فى هداية الله تعالى الاشياء إلى مصالحها
١٥٦	قاعدة فى تحقيق قوله تعالى: انك ميت و انهم ميّتون و بيان ان الموت حقّ
١٥٨	قاعدة فى الكشف عن ماهية الانسان الحقيقى مظهر الاسم الله الاعظم و خليفة الرحمن
١٦٠	تنوير تمثيلى
١٦٠	تثمة
١٦٢	تبصرة أخرى
١٦٥	الطرف الثالث فى علم المعاد و بيان حشر النفوس و الاجساد
١٦٥	— المشهد الاول فى بيان الفطرة الاولى للانسان و العود إليها و فى التقابل بين مراتب البدء و النهاية
١٦٦	— المشهد الثانى فى الاشارة إلى علم الساعة و سرّ القيامة
١٦٦	قاعدة فى معنى الساعة
١٦٨	قاعدة فى سرّ القيامة و زمانها و مكانها
١٧٠	تبصرة عقلية

١٧١	حكمة كشفية في بيان القيّامتين: الصغرى والكبرى
١٧٣	قاعدة في معرفة طريق الآخرة ومنشأ أعراض الخلق عن سلوكها
١٧٥	قاعدة في نتائج الأعراض عن سلوك سمت المعاد بتكميل النفس و تنوير القلب
١٧٦	— المشهد الثالث في تحقيق القبر وعذابه وثوابه
١٧٩	— المشهد الرابع في البعث والحشر
١٧٩	قاعدة
١٨٢	تنبيه استبصارى
١٨٢	قاعدة في الحشر
١٨٣	اعلام كشفية
١٨٤	بصيرة برهانية
١٨٤	— المشهد الخامس في الصراط
١٨٦	مشاهدة قلبية
١٨٧	بصيرة كشفية
١٨٧	زيادة كشف و توضيح
١٨٩	— المشهد السادس في نفع الصور
١٩١	تنوير و تذكير
١٩٢	قاعدة في أحوال تعرض يوم القيامة
١٩٥	— المشهد السابع في الإشارة إلى نشر الصحائف و إبراز الكتب و كرام الكاتبين
١٩٩	— المشهد الثامن في الميزان و الحساب
٢٠٣	تبصرة ميزانية
٢٠٤	تذكير
٢٠٦	تذكرة في الحساب
٢٠٦	قاعدة في الإشارة إلى طوائف الناس من جهة الحساب
٢٠٨	— المشهد التاسع في الجنة و النار و الإشارة إلى ابواب النيران
٢١٠	تنبيه
٢١٢	— المشهد العاشر في الإشارة إلى الزبانية و عددها
٢١٤	— المشهد الحادى عشر في الإشارة إلى درجات الجنان و دركات النيران
٢١٦	— المشهد الثانى عشر في سّر شجرة الطوبى و شجرة الزقوم
٢١٩	قاعدة في كيفية تجدد الاحوال و الآثار على اصحاب الجنة و اصحاب النار
٢٢٣	تعليقات الحكيم النورى

بسم الله الرحمن الرحيم

از جمله مسائل اساسی مورد تاکید در حکمت متعالیه این است که میان دین و عقل تخالفی نیست و حکیم عالیقدر صدرالمتألهین (قدس سره) در اکثر کتابهایش بر این مطلب تاکید دارد و در مواضعی پس از ذکر ادله عقلی بر مدعا، به شواهد نقلی آن تمسک می‌کند. یکی آثاری که صدرا به خصوص برای اثبات این امر تألیف فرموده کتاب شریف اسرارالآیات است که عمده مطالب آن شامل مباحث اثبات باری تعالی و معرفت صفات الهی و نحوه صدور کثرت و تحقیق نبوت و خلافت الهیه و برخی مباحث نفس و معاد است. در غالب مسائل پس از اشاره کوتاهی به دلایل عقلی و احیاناً اقوال مختلف، به تطبیق آن با آیات و روایات می‌پردازد و از این جهت یکی از آثار ارزشمند آخوند است.

استاد الاساتید مرحوم مولی علی نوری (رحمه الله) بر این کتاب به طور مفصل و در چندین مقطع زمانی حاشیه نوشته است و کار صدرا در تطبیق مطالب حکمت متعالیه با آیات و احادیث را تکمیل فرموده است. این تعلیقات اگر مفصل‌ترین اثر آخوند نوری نباشد مسلماً در زمره طولانی‌ترین آنها هست.

مرحوم سیدنا الاستاد حضرت سید جلال‌الدین آشتیانی (رضوان الله علیه) در سال ۱۳۷۶ تصویر دو نسخه خطی از اسرارالآیات به انضمام نسخه حواشی حکیم نوری را در اختیار حقیر قرار دادند تا به چاپ برسد. پس از مدتی که کار تحقیق و مقابله به انجام رسید، قرار نشر با ناشر مربوطه بنا به عللی از سوی استاد لغو شد که فعلاً از شرح آن معذورم لعل الله یحدث بعد ذلك امرا و کار نشر کتاب به تعویق افتاد و از باب مرهون بودن امور باوقاتش، سرانجام بوسیله انتشارات حکمت در زمانی به زیور طبع آراسته گردید که روح بلند استاد به ملکوت وجود پرواز نموده بود، اکنون هرچند که استاد در قیود مضایق مادی نیستند اما به حکم اطلاق حاصل از تجرد، مسلماً نفس آن عزیز ناظر به ثمر رسیدن این اثر نفیس می‌باشد خصوصاً که علاقه وافری به مطالب مطرح شده در حواشی حکیم نوری داشتند و در ضمن تدریس مکرراً از این تعلیقات یاد نموده و احیاناً مطالبی نقل می‌فرمودند.

این بنده در نظر داشتم که مقدمه مفصلی در آثار و تحلیل افکار حکیم نوری و اساتید و شاگردان وی بنویسم و بدین منظور نیز یادداشت‌هایی تهیه کردم اما به علت کثرت گرفتاری و تراکم احوال موفق به ترتیب آنها و اتمام کار نشدم و از طرفی تاخیر بیشتر در نشر کتاب را

روا نمی‌دیدم. امیدوارم در آینده توفیق این مهم حاصل شود. فقط به ذکر چند نکته بسنده می‌شود:

۱- نسخه‌های استفاده شده در تحقیق: دو نسخه خطی یکی به خط محمد شفیع نوه ملاصدرا ضمن کتب اهدایی مرحوم علی‌اصغر حکمت به دانشگاه تهران (رمز الف) که در پایان کتاب مهر شریف صدرالمآلهین دیده می‌شود.

نسخه دیگر بدون ذکر نام کاتب به همراه قسمتی از حواشی حکیم نوری (رمز ب) این دو نسخه با نسخه چاپی جناب آقای محمد خواجوی مقابله شده و در اختلاف نسخ، آنچه اصح به نظر آمد در متن قرار داده شد و بقیه در پاورقی ذکر شد مگر در مواقعی که غلط فاحش بود که از ذکر آن خودداری شد.

نسخه خطی حاشیه حکیم نوری (رمز ج) که قسمت عمده حواشی را دارد و با حواشی مذکور در نسخه ب مقابله و اختلافات به طریق فوق‌الذکر ثبت شده است.

۲- در ارجاع به مآخذ حداکثر تلاش شده است اگرچه مواردی بود که موفق به یافتن مآخذ نشده‌ام. در مواردی که تذکر نکته‌ای لازم به نظر رسید با حاشیه (م) معین شد. زحمت استخراج و تنظیم فهرستها بر عهده بخش ویرایش انتشارات حکمت بود که بدین وسیله از ایشان تشکر می‌کنم.

۳- مرحوم حکیم نوری آثار فراوانی دارد که بیشتر به صورت تعلیقه بر کتب ملاصدرا یا دیگران است. به ضرس قاطع نمی‌توان گفت که همه آنها شناخته شده است. احتمال می‌دهم که هنوز حواشی بر کتب دیگر باشد که شناخته شده نیست. غیر از آثار معروف و مذکور برای وی، می‌توان به حواشی ایشان بر شرح توحید صدوق از قاضی سعید قمی، حواشی بر تقویم‌الایمان، حواشی بر شرح فصوص ابن‌ترکه اشاره کرد.

به طور کلی در مورد حکیم نوری می‌توان گفت که در حکمت متعالیه پس از ملاصدرا کسی همپای وی نیست. بسیاری از تطبیقات مطالب حکمت متعالیه با روایات که در آثار سبزواری و دیگر فلاسفه متأخر آمده ریشه در آثار حکیم نوری دارد. مرحوم سیدنا الاستاد آشتیانی به حقیر فرمودند بین حکیم نوری و محقق سبزواری، بون مشرقین نیست اما نوری سمت استادی را حفظ کرده است.

یکی دیگر از آثار وی که قدرش مهجور مانده کتاب حجت‌الاسلام است (در پاسخ شبهات فردی به نام پادری که علیه اسلام نوشته) و حاوی مطالب بسیار اوزنده در تحقیق ولایت و انحاء تصرف انسان کامل در عوالم وجود است که بر طبق مبانی عقلی و مطابق اعتقادات شیعی و همچنین تطبیق اسلام با یهود و مسیحیت است. اگرچه نثر آن فسیح و زیباست اما برای خواننده امروزی خالی از صعوبت نیست. یکی از دوستان این کتاب را تحقیق نموده که انشاءالله به زودی به طبع خواهد رسید.

با وجود تَضَلُّعِ تام و بی‌نظیر حکیم محشی در حکمت متعالیه، از حواشی وی بر شرح

فصوص ابن ترکه به خوبی هویدا است که در مباحث عرفان نظری به سبک ابن عربی و اتباعش، ضعیف است. همچنین برخلاف بسیاری از حکیمان پیرو مکتب صدرا، حکیم نوری، تزلُّع در فقه ندارد و بیشتر عمر مبارکش را صرف تدریس و تحقیق حکمت متعالیه نمود. (حدود ۷۰ سال کما قیل).

از خداوند بزرگ مسئلت می‌کنیم ارواح مطهر همه حکما و فلاسفه اسلام خصوصاً ماتن و محشی این اثر گرانبها و بالاخص سیدنا الاستاد آشتیانی را مشمول عنایات و تحیات خاصه خویش قرار داده و همگی را در جنت الذات با اولیاء ولایت مطلقه محمدیه (صلی الله علیه) محشور فرماید.

سید محمد موسوی

مشهد مقدس

۷ آذر ۱۳۸۴ مطابق ۲۵ شوال ۱۴۲۶

سالروز شهادت حضرت صادق آل محمد صلی الله علیه و آله

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من بيده ملكوت الأرض والسماء وإليه يتشوّق ويدور الأشياء. يا
حيّ يا قيّوم إياك نروم ولك نصلى ونصوم. أنت قيام الوجود و فائض الخير والجلود و
منزل البركات والخيرات و غاية الميول والحركات و مبدأ الإشراق و منتهى الأشواق و
مدبّر الأمور و نور النور و واهب حياة العالمين و جاعل السماوات فوق الأرضين، أيّدنا
بأنوار كلماتك و نوّر قلوبنا بأسرار كتابك و آياتك و طهّر نفوسنا من غسّق الطّبيعة و
الجهالات^١ و أخرجنا من رجس^٢ عالم الظلمات إلى مشاهدة أنوارك و معانة أضوائك و
مجاورة مقربيك و مصاحبة سكّان ملكوتك و مسّبحيك، واحشرنا مع النّبیین و الصّديقين
سيما محمّد المبعوث إلى كافّة الخلايق أجمعين و أهل بيته الأطهرين الأنجيين عليهم
أشرف صلاة المصلّين و أزكى تسليمات المسلمين.

أما بعد فيقول انزل خلق الله و أحوّجهم إلى كرامة ربّ العالمين محمد المدعوّ بصدر
الدين: هذا بيان للناس و هدى و رحمة للمتقين «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ». [يوسف: ١٠٨] هذه أنوار علوم
إلهية و أسرار مسائل ربّانية و مقاصد قرآنية مستفادة من آيات الكتاب المبين النازل إلى
الخلق من عند ربّ العالمين. و هى مفاتيح يفتّح بها باب الجنة و الرضوان و يظهر بها
كنوز خزائن الرحمن و يعاين بها جواهر عالم الملكوت و ينكشف بها أنوار عالم
الجهنّم. فيها قرّة عيون السالكين و شفاء صدور المؤمنين الموحّدين و مرض لقلوب
الجاحدين المنكرين و فيها هدى للمتقين و عمى و غشاوة على أبصار المنافقين
المتكبرين «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ». [البقرة: ٢٦] سمّيتها
بأسرار الآيات و أنوار البينات و جمعتها في مقدّمة و أطراف مشتملة على مشاهد.

المقدمة

في بيان طريق السالكين إلى الله و منهج الراسخين في العلم
و فيها عدة قواعد
قاعدة

في أن رأس السعادات و رئيس الحسنات
هو اكتساب الحكمة الحقّة

اعنى العلم بالله و صفاته و أفعاله و ملكه و ملكوته و العلم باليوم الآخر و منازل و مقاماته من البعث و الحشر و الكتاب و الميزان و الحساب و الجنة و النار، و هى الايمان الحقيقى و الخير الكثير و الفضل العظيم المشار إليه في قوله تعالى: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا» [البقرة: ٢٦٩] و قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» إلى قوله: «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» [الجمعة: ٢-٤] و قوله تعالى: «أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ» إلى آخر الآية. [البقرة: ٢٨٥] و للإشارة إلى أن الكفر و الضلال مقابل هذا العلم اعنى الجهل بهذه المعارف قوله: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» [النساء: ١٣٦] فظهر أن الاعتقاد بهذه الأمور هو الايمان الحقيقى و به يحصل الكرامة عند الله و الزلفى لديه. و ذلك لأن الإنسان باكتساب هذه العلوم الإلهية يصير من حزب الملائكة المقربين بعد ما كان من جنس الحيوانات المبعدين، لما تقرر في مقامه بالبرهان أن النفس الناطقة تترقى في الاستكمالات العلمية من حدّ العقل الهولانى - الذى هو جوهر نفسانى بالفعل لكنه مادة روحانية - إلى حدّ العقل بالفعل، و هو جوهر عقلى نورانى فيه صور جميع الموجودات على وجه مقدس، و هو نور يترائى فيه الأشياء كما هى. و إنما يحصل له هذا العقل البسيط و النور الشريف بالنظر في حقايق الموجودات و التدبّر في آيات الله الكائنة في الأرض و السّمّاءات لا بالإعراض عنها كما قال تعالى: «وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْرِوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» [يوسف: ١٠٥].

و مما يدل على وجوب النظر و التفكير^١ و اكتساب الحكمة و المعرفة قوله: «قل

١- الحيوان

٢- بن الفكر

انظروا ماذا في السماوات و الأرض» [يونس ١٠١] و قوله: «أولم ينظروا في ملكوت السماوات و الأرض و ما خلق الله من شيء و أن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون» [الاعراف ١٨٥] و في هذه الآية دلالة على أن حياة الإنسان بعد الموت و المفارقة عن هذه النشأة الزائلة بالمعارف و التصديق بحقايق الأشياء كما هي، و قوله: «قل سيروا في الأرض فأنظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة» [العنكبوت ٢٠] [١]

و هذا السير المأمور به ليس إلا السير الفكري و الحركة المعنوية دون تعب الجوارح. و ستعلم بيان ما اشرنا إليه من أن بناء النشأة الآخرة للإنسان و عمارتها إنما هي بما يتقرر في نفسه من صور الاعتقادات، و قوله: «أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده» [العنكبوت ١٩]

ثم انه قد مدح الله الناظرين في ماهيات الأشياء و المتفكرين في خلق السماوات و الأرض و الذاكرين لله من ملاحظة آثار صنعه و جوده في مواضع كثيرة كقوله: «و يتفكرون في خلق السماوات و الأرض» [الاعران ١٩١] و قوله تعالى: «الذين يذكرون الله قياما و قعودا و علي جنبهم و يتفكرون في خلق السماوات و الأرض» [الاعران ١٩١] و للإشارة إلى أن العروة الوثقى و العمدة العظمى في التقرب إلى الله و الفوز بالسعادة الآخروية هي اقتناء العلم و المعرفة دون مجرد العمل الصالح و الطاعة - و إن كان العمل الصالح وسيلة إليه و انها هي الثمرة و الغاية و العمل كالزرع، و هي النتيجة و العمل كالمقدمة، و هي المخدمة و السلطان و العمل كالخادم و العبد و الأجير - قال: «إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه» [فاطر ١٠] و قال: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين» [البقرة ١٧٧] و قال تعالى: «أجعلتم سقاية الحاج و عِمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر» [التوبة ١٩] ففيه إشارة إلى أن فعل الصلاة و فعل الحج - اللذين هما عمدتا الأعمال البدنية و الطاعات - ليسا مثل الايمان و اليقين بالأموال المذكورة.

و قال: «المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رُسله» [البقرة ٢٨٥] هذا تعريف المؤمن و لم يدخل في حده إلا هذه المعارف الحقيقية لا شيء من الأعمال. فلو فرض حصول هذه المعارف على وجهها في قلب احد من الآدميين من دون عمل حسننا كان

أو قبيحا لكان مؤمنا حقاً فائزاً بالسعادة الحقيقية من غير قصور و خلل في إيمانه. و هذا وإن كان مجرد فرض لكن الغرض التنبيه على أن العرفان هو الاصل و العمود، و العمل فرع له.

و قد حثَّ سبحانه عباده في كثير من الآيات على اكتساب العلم بالنظر و الاعتبار و التأمل في أفعاله و التدبُّر في آياته و آثاره مثل قوله: فاعتبروا يا أولى الابواب^١ و قوله: «أولم ينظروا» [الاعراف ١٨٥] «أولم يتفكروا» [الاعراف ١٨٤] و قوله: «إن في ذلك لذكرى لأولى الابواب» [الزمر ٢١] و قوله: «إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الابواب» [آدمران ١٩٠] و قوله: «و في الأرض آيات للموقنين و في أنفسكم أ فلا تبصرون». [الذاريات ٢٠-٢١]

قاعدة

في أن الجهل بهذه المعارف الإلهية و وجود الاستعداد و قوَّة التعلم و مكنة التحصيل رأس الشقاوات و العقوبات و انه مادة كلِّ نفاق و مرض نفساني و مفرس كلِّ شجرة ملعونة و شجرة خبيثة في الدنيا و الآخرة و هو منشأ العذاب الاليم و الخسران العظيم و الحسرة و الندامة يوم القيامة.

قوله تعالى: «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و ابصارهم و اولئك هم الغافلون لا جرمَ أنهم في الآخرة هم الخاسرون» [النحل ١٠٨-١٠٩] و قوله تعالى: «و من أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضئكاً و نحشره يومَ القيامة اعمى قال ربِّ لِمَ حشرتني اعمى و قد كنتُ بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتهاً فكذلك اليوم تُنسى» [طه ١٢٤-١٢٦] و قوله: «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكرَ الله اولئك حزب الشيطان ألا إن حزبَ الشيطان هم الخاسرون». [المجادلة ١٩]

و الوجه في أن من نسي ذكر الله يكون من أهل العذاب و انه يحشر اعمى و اصمَّ أن بناء الآخرة على المعرفة و الذكر - لأنها نشأة إدراكية و دار حيوانية كما سنبيِّن - فعمارتها بالاعتقادات و العلم و النيات الصالحة و الإدراكات الخالصة. و بناء الدنيا على الظلمة المادية، و عمارتها بالأمور الشهوية و الأماني الباطلة، لأنها نشأة كدرة جرمانية ف«من كان في هذه اعمى» [٢] فهو في الآخرة اعمى و اضلَّ سبيلاً». [الاسراء ٧٢]

ثم ان من جهل بالله جهل بالأشياء كلها لما تقرّر من ان العلم بذوات المسبب لا يحصل إلا من جهة العلم بسببها. و من جهل بالأشياء كان من اهل الكين في الآخرة لما مرّ من ان وجود الآخرة وجود إدراكي فيكون منسياً عند الله، إذ لو كان مذكوراً كان موجوداً في نفسه إذ المعلوماتية لا ينفك عنه الموجودية في الأمور التي وجودها إدراكي و صورتها صورة إدراكية. وقال أيضاً: «نسوا الله فأنسيهم» [التوبة ٦٧] [٣] وهذا بمنزلة عكس النقيض لقوله (عليه السلام): «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^١ على ما اوضحناه. وقوله تعالى: «ان الذين لا يرجون لقاءنا [٤] و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها و الذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون» [يونس ٧-٨] جعل الله سبحانه الجهل بالله و آياته منشأ الرجوع إلى نار الجحيم و العذاب الاليم. و ذلك لأن النفوس الجهال ابدأ متوجّهة نحو لذات الاجسام و اغراض الدنيا و شهواتها، إذ لا تعرف غير هذه الأمور.

و أما العارف الرباني فنفسه - لأجل الاستكمال بالعلم و الإعراض عن الأمور الدنيّة الجسمانية - متوجّهة دائماً نحو العالم القدس الالهي راغبة إلى قربته تعالى لأن من احب شيئاً كان حشره إليه. و الجاهل لا يحب إلا الأمور الباطلة و الأمانى العاجلة الزائلة. و لا شك ان الدنيا و شهواتها أمور باطلة و همية [٥] فكان حشره إلى عالم البوار و الشرّ و الظلمة،^٢ فمآله إلى نار الجحيم و نصيبه العذاب الاليم. قوله تعالى: «ويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة و يصدّون عن سبيل الله و ينفونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد» [ابراهيم ٢-٣]

تنبيه

اعلم ان الكفر الذي هو منشأ العذاب الاليم الشديد هو ضرب من الجهل اعنى المركّب مع الاعتقاد المشفوع بالاستكبار و العناد لا بمجرد الجهل البسيط بالمعارف. و لذلك وصف الله تعالى اولئك الكافرين بمحبّة الدنيا و الصّدّ عن سبيل الله و طريق الحقّ و الضلال و الاعوجاج عن سبيله. قوله تعالى: «و يُبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا و أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً» [الاسراء ٩-١٠]

١- مصباح الشريعة الباب ٦٩ في العلم، شرح غرر الحكم ١٩٤/٥، عوالى اللثاى ١٠٢/٤، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢٩٢/٢٠، مشارق الأنوار ١٨٨
٢- ب الشرور و الظلمات

قوله تعالى: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلها مذبذوبا مدحورا و من اراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا» إلى قوله: «لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا» [الاسراء: ١٨-٢٢]

قوله تعالى: «ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة» [الاسراء: ٢٩] أى معرفة الحق لذاته و عمل الخير لأجله. «و لا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا» [الاسراء: ٢٩] قوله تعالى: «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» [مرم: ٢٧] «و يزيد الله الذين اهتدوا هدى و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير مردا» [مرم: ٧٤] «يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وقدا و نسوق المجرمين إلى جهنم وردا» [مرم: ٨٥-٨٦] أى غاية سلوك العارفين و ما يؤول إليه سعيهم هو الله، و غاية مسلك الجهال المنهمكين في الدنيا و شهواتها إلى النار.

و اعلم ان الوصول إلى الله خير من كل نعيم و سعادة، لأن كل خير و كمال و نعيم و سعادة في الدنيا و الآخرة رشح من بحر وجوده و فيض من نور شهوده. قوله تعالى: «انه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها و لا يحيى» [طه: ٧٤] إذ ليس له الحياة الدنيوية الحسية لأنها بطلت و لا الحياة الأخروية اعنى حياة العلم و المعرفة لأنها ما حصلت و لا ما اكتسبت.

قوله تعالى: «و من يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى» إلى قوله: «و ذلك جزاء من تركي» [طه: ٧٥-٧٦] أى تجردت نفسه عن الهيئات البدنية و الأغراض الدنيوية. قوله تعالى: «من اعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه و ساء لهم يوم القيامة حملا» [طه: ١٠٠-١٠١] لا شبهة في ان هذه الأوزار و الأحمال التي تثقل ظهر القلب [٦] و تمنع النفس عن الصعود إلى الدرجات العلى ليست اجساما ثقيلة محسوسة بل هي من باب الهيئات النفسانية و الأغراض العقلية التي تجر النفس عن عالم النور إلى عالم الغرور من سلاسل الشهوات و اغلال التعلقات.

قوله تعالى: «فالذين كفروا قُطِّعَتْ لهم نياح من نار» [الحج: ١٩] لما بين في موضعه من ان الاخلاق و الملكات ستصير صورا جوهرية تتصور بها النفس الإنسانية و تلبس بها في الآخرة فتكون لها شعار و دثارا.

ثم ان الهيئات المتمكنة [٧] في نفوس الاشقياء المبعدين من دار الكرامة هي من باب الشهوات الدنيوية و اللذات الحيوانية و الأغراض البهيمية، فهي حاصلة من القوى

العمالة للأجرام السفلية بالتقطيع و الجمع و التفريق و التحليل و التركيب «يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم» [المج ١٩] أى يُنزل عليهم القواهر العلوية ما يتسخّن به ابدانهم «يُصهر به ما فى بطونهم و الجلود و لهم مقامع من حديد» [المج ٢٠-٢١] من قوّة قوّة لفاعل غليظ شديد يدعوهم إلى الأعمال الطبيعية و خدمة الشهوات الشيطانية و اشتعال النيران الكامنة و يُقمعهم عن الميل إلى جهة السعادة و جانب القدس و تردّهم إلى الجحيم التى ورّدوها أولاً «كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ» [المج ٢٢] بواسطة سماع وعظ أو نصيحة أو قراءة آية أو رواية حديث أو صحة عالم «أُعيدوا فيها» [المج ٢٢] لغلبة دواعى سلطان الطّبيعة على قلوبهم القاسية و استيلاء النفس الامّارة بالسوء على نفوسهم. [٨]

قوله تعالى: «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و ابصارهم و اولئك هم الغافلون لا جرمَ انهم فى الآخرة هم الخاسرون». [التحل ١٠٨-١٠٩] فدلت الآية على ان الغفلة و الجهالة صارت سببا لخسران الآخرة و قد مرّ بيانه.

قوله: «و إذا تُتلى عليه آياتنا و لى مستكبرا كأن لم يسمعها [٩] كأنّ فى أُذنيه وقرأ فبشره بعذاب اليم». [القمان ٧] قوله: «ويل لكل افاك ائيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يُصرّ مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم و إذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مُهين من ورائهم جهنم و لا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا و لا ما اتخذوا من دون الله اولياء و لهم عذاب عظيم هذا هدى و الذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم». [الباقية ٧-١١]

فهذه الآيات دلّت على ان رأس الشقاوة و منشأ العذاب الاليم هو الكفر الذى [هو] ضرب من الجهل و الاحتجاب عن الحقّ بما يلزمه من الأعمال و الملكات المؤدّية إلى البعد عن دار الكرامة و معدن الرحمة و الانغمار فى بحر الظلمة الجرمية و الهوى فى الهاوية السفلية و القرية الظلمانية الظالم أهلها، كما ان اصل كلّ سعادة و بهجة هو الايمان بالله و كلماته و آياته و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و الخروج من هذه النشأة الدائرة المظلمة و الصعود إلى عالم الطهارة و القدس و النور من عالم الطّبيعة و معدن الرّجس و الظلمة و الدثور.

تنبيه

اعلم ان محبة الدّنيا و الكفر يتلازمان و يتسبّب احدهما بالآخر. و لهذا ورد فى

الكتاب الالهى تعليل العذاب الأخرى و الشقاوة تارة بهذا و تارة بهذا، كما فى قوله تعالى: «من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة و ان الله لا يهدى القوم الكافرين». [التحل ١٠٦-١٠٧] دلت على ان محبة الدنيا مغرس الكفر و منبت النفاق، لكن نتيجة محبة الدنيا هى العذاب العظيم الحاصل عن مفارقتها يوم الآخرة، و نتيجة الكفر هى غضب الله فى القيامة.

و لا شك عند المحقق العارف ان عذاب الغضب اشد من عذاب النار، لأن الاول عذاب روحانى و الثانى جسمانى حسى. و الجحيم صورة غضب الله كما ان الجنة صورة رحمة الله. و كما ان لذة رضوان الله اكبر من لذة نعيم الجنة من الحور و القصور و الأنهار و الأشجار و غيرها كما قال: «و رضوان من الله اكبر» [البقرة ٧٢] فكذا الم الحجاب عن الحق اشد من الم النار، و لذلك وقع مقدما فى الذكر فى قوله تعالى: «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم». [المطففين ١٥-١٦]

و مما يدل على ان الجهل بالمعارف الإلهية يوجب السقوط عن الفطرة و يؤدى بالإنسان إلى أن يصير مرآة قلبه مكدرّة مظلمة بالقواشى و الظلمات إلى حد يفسد ظاهرها و باطنها قوله تعالى: «بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» [المطففين ١٤] و قوله تعالى: «بل طبع الله عليها بكفرهم» [النساء ١٥٥] وقوله: «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و اتبعوا أهوائهم» [عند ١٦] و قوله تعالى: «و جعلنا قلوبهم قاسية». [المائدة ١٣]

و توضيح ذلك بالبيان الحكيم ان الروح الإنسانية من جهة ان من شأنها ان يتجلى فيها الأشياء مشابهة للمرأة، لكن هذه الحالة فى اول الفطرة للنفس امر بالقوة لكل احد من الناس ثم تصير بمزاولة الأعمال و الأفعال خارجة من القوة إما إلى الفعل و الكمال أو إلى البطلان و الزوال، فإذا وقع الإنسان فى السلوك العلمى و الرياضة الدينية و التكاليف الشرعية التى هى بمنزلة تصقيل المرأة يخرج النفس من القوة إلى الفعل و تصير عقلا بالفعل بعد ما كانت عقلا بالقوة، فتكون كمرأة مجلوة يترانى فيها صور الموجودات على ما هى عليها.

و إذا لم يقع فى هذه الطريقة - و هى الصراط المستقيم المذكور فى القرآن - و لم يخرج ذاته فى طريق الآخرة بالتصفية [١٠] و الرياضة و التطهير و التنوير من القوة إلى الفعل بل سلك مسلك الدنيا و صارت نفسه متدنسة بدنس الشهوات متنجسة برجس الفسوق

و السيئات بطلت فيه القوة الاستعدادية لأنّ تصير منورة بأنوار العلوم ولأنّ يتجلى فيها حقائق الامثال و الرسوم ولأنّ يكون عقلا و معقولا لا بالفعل^١ و لا بالقوة. و بالجملة قد بطلت القوة و زالت الفرصة بالكلية و صارت النفس حسّا بالفعل بعد ما كانت عقلا بالقوة و ظلمة بالفعل بعد ما كانت نورا بالقوة و بهيمة أو شيطانا بالفعل بعد ما كانت ملكا بالقوة. كحديد كان أولا قابلا للإذابة و التصقيل لتظهر فيها مثل المحسوسات فإذا غاص في جرمه الرين و النداءة و الوسخ بطل استعدادة في كونه مرآة، فكذلك إذا بطل استعداد النفس لأنّ يكون جوهرًا إدراكيا و وجودا علميا صارت جوهرًا من جواهر الدنيا بالفعل.

و كلما كان الشيء جوهرًا دنيويًا ظلمانيا بالفعل يحترق في الآخرة بنار السعير، إذ الدنيا و ما فيها يحاء بها يوم القيامة بصورة نار جهنم و شراراتها و ظلماتها فيحترق بمن فيها، كما في قوله تعالى: «و جىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان و انى له الذكرى» [الفجر ٢٣] و قوله: «و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب [١١] و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم» [الأنفال ٣٦-٣٧] و قوله: «و قالوا لو كنّا نسمع أو نعقل [١٢] ما كنّا في اصحاب السعير» [الملك ١٠] و قوله: «ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا و غرثكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها و لا هم يُستعتبون» [الجنات ٣٥] و قوله: «و الذين كفروا يتمتعون و يأكلون كما تأكل الأنعام و النار مثنوى لهم» [عدد ١٢] و قوله: «و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى و كانوا لا يستطيعون سماعا» [الكهف ١٠٠-١٠١] و قوله: «من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوفّا إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخلون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون» [هود ١٥-١٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الأمور الدنيوية لا يمكن أن يكون لها وجود يوم القيامة [١٣] و ان النفس الآدمية مادامت من جنس هذه الاكوان الدنيوية فهي حطب جهنم و صلى النار، كما قال: «انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم» [الانبيا ٩٨] و إنما يستحق النعيم و يستأهل لجوار رحمة الله و الجنة من تبدل وجوده و صار جوهرًا علميا بعد ما كان جوهرًا دنيويًا، و ذلك بمزاولة العلوم و ملكة التجريد.

فظهر ان محبة الدنيا منشأ الكفر و الاحتجاب و مادة الشقاوة و العذاب و ان بناء

التنعم في الآخرة و الحياة الدائمة على العلم و المعرفة، إذ ما لم يصير جوهر الإنسان جوهر إدراكيا علميا لم يجعل من جنس الجواهر الحية القريبة من الله و دار الكرامة المرتفعة عن عذاب النار و منزل البوار المتنعة بنعيم دار الحيوان المنسرحة في طبقات الجنان.

قاعدة

في الإشارة إلى أن هذا المنهج اعنى منهج التوحيد و هو طلب العلم بالله و آياته و ملكه و ملكوته و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر هو مسلك جميع الانبياء و الاولياء، [١٤] و ان لا خلاف بينهم في شيء من العلوم الإلهية و الاصول الايمانية، و ان طريقهم في العلم واحد و دينهم دين واحد، و إنما الخلاف بين شرايعهم في المسائل الفرعية العملية التي قد تختلف باختلاف الأزمنة و الاوقات.

قوله تعالى: «و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» [الانبيا، ٢٥] و قوله تعالى: «كذلك يوحى إليك و إلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» [الشورى ٣] و قوله تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذى أوحينا إليك و ما وصىنا به ابراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه» [الشورى ١٣] و قوله: «إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النبيين من بعده و أوحينا إلى ابراهيم و اسماعيل و اسحق و يعقوب و الأسباط و عيسى و ايوب و يونس و هارون و سليمان» الآية [النساء، ١٦٣] و قوله: «ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك» [فصلت ٤٣] قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى و ذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق و هم معرضون» [الانبيا، ٢٤] و قوله: «اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» [الانعام ٩٠] ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده و لو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون» [الانعام ٨٨] و قوله: «ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم و موسى» [الاعلى ١٨-١٩]

و اعلم ان هذا المنهج العلمى و الايمان الحقيقى في غاية الندرة و الشذوذ و لا يوجد منهم في كل عصر إلا عدد قليل كواحد أو اثنين، كما قيل: «جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل و ارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد» و ذلك لأن علم التوحيد و الايمان الحقيقى نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده ليس يحصل بمجرد اقرار

بالشهادة ولا يبحث و تكرر أو تلفيق ادلة كلامية، كما هو شأن أكثر المنتسبين إلى العلم المشهورين بالإفادة والتدريس.

و أكثر أهل الاسلام ظاهرا هم أهل الكفر و الإشراف باطنا، كما قال تعالى: «و ما أكثر الناس و لو حرصت بمؤمنين» [يوسف ١٠٣] و قوله: «و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون» [يوسف ١٠٦] و قوله: «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله» [النساء ١٣٦] و المراد يا أيها الذين آمنوا ظاهرا و لفظا آمنوا ضميرا و علما، و قوله: «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا و لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم» [المجرات ١٤] و قوله: «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها و أكثرهم الكافرون» [النحل ٨٢]

و مما يدل على ان المؤمنين بالحقيقة هم الراسخون في العلم الكاملون في الحكمة و المعرفة قوله تعالى: «لكن الراسخون في العلم منهم و المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك» [النساء ١٦٢] و قوله: «و يرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق و يهدى إلى صراط العزيز الحميد» [سبا] هذه الآية دالة على ان غير هؤلاء القوم لا يشهد حقيقة الرسول و لا يعلم حقيقة انزال الكتاب الهادى إلى صراط التوحيد، و بالجملة ان المؤمنين بالحقيقة هم العلماء بالله و اليوم الآخر، و هذا العلم نور عزيز المنال و فضل رفيع المثال لا يوجد بمجرد القيل و القال و البحث و الجدل أو رواية الحديث و حفظ الأقوال.

قال بعض العارفين: «أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت و اخذنا علمنا عن الحىّ الذى لا يموت». و هذا العلم المشار إليه هو علم الوراثة [١٥] لا علم الدراسة، يعنى ان علوم الانبياء (عليهم السلام) لدنيّة، فمن كان علمه مستفادا من الكتب و الرواية و الدراسة فليس هو من ورثة الانبياء، لأنّ علومهم لا يستفاد إلا من الله، كما قال تعالى: «و ربك الاكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم» [العلق ٣-٥]

و لاتظن ان التعليم من عند الله يختصّ بهم لا يتجاوز غيرهم فقد قال تعالى: «و اتقوا الله و يعلمكم الله» [البقرة ٢٨٢] فكل من وصل إلى حقيقة التقوى فلا بد ان يُعلّمه الله ما لم يعلم و يكون معه، كما قال: «ان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون» [النحل ١٢٨]

قاعدة

في نعت القرآن و اساميّه

اعلم ان القرآن في اللغة بمعنى الجمع كما ان الفرقان بمعنى الفرق و التفصيل. قال الله

تعالى: «ان علينا جمعه و قرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه» [القيامة ١٧-١٩]
و الاول اشارة إلى العلم الاجمالى المعروف عند العلماء بالعقل البسيط، و هو العلم
بجميع الموجودات على وجه بسيط اجمالى، و ذلك العقل هو فعّال تفاصيل العلوم
التفسانية.

و الثانى اشارة إلى العلم النفسانى المتكثر بصور عقلية حاصلة فى النفوس الفاضلة. و
ربما يحصل الثانى دون الاول لكن الاول لا ينفك عن الثانى فكل قرآن لا ينفك عن
الفرقان دون العكس. و نفس نبينا (صلى الله عليه و آله) فى مقام "قاب قوسين أو أدنى"
عقل بسيط قرآنى متحد مع المعقولات كلها، و هو قلم الحق الاول و كلامه بوجه و هو
كلمة الله التامة التى فيها جوامع الكلم كما فى قوله (صلى الله عليه و آله): «اوتيت جوامع
الكلم»^١ و فى مقام آخر لوح نفسانى فيه تفاصيل العلوم و صور الحقايق المرسومة فيه
من قبل قلم الحق الفعّال لصور العلوم. و تلك الصور أو محلها هو الكتاب الفرقانى، فهذا
المصحف الذى بين اظهرنا [١٦] قرآن بوجه و فرقان بوجه و هو كلام الله بوجه و كتابه
بوجه. و سينكشف لك وجوه الفرق بين كلام الله و كتابه و ان المنزل على ساير الانبياء
كتاب لا كلامه و ان ذلك فرقان لا قرآن.

إذا علمت هذا فاعلم ان من اسمائه النور لأنه نور عقلى ينكشف به أحوال المبدأ و
المعاد يترائى به حقايق الأشياء و يهتدى به فى سلوك يوم القيامة و طريق الجنة، كما قال
تعالى: «ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من
عبادنا و انك لتهدى إلى صراط مستقيم» [الشورى ٥٢] و قال تعالى: «قد جاءكم من الله نور
و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى
النور بإذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم» [المائدة ١٥-١٦]

فقوله: «نور» اشارة إلى مرتبة العقل القرآنى البسيط، و قوله: «كتاب» اشارة إلى
مرتبة العلم التفصيلى، كما قال: «كتاب فُصِّلَتْ آياته» [فصلت ٣] و قال: «كتاب أحكمت
آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» [هود ١] و قال: «تفصيل الكتاب لا ريب
فيه» [يونس ٣٧]

١- قد ورد هذا الحديث بعبارات مختلفة فى كثير من كتب الفريقين: الخصال ٢٩٢، الفقيه ٢٤٠/١١،
مسند احمد ٢٥٠/١٢، سنن النسائى ٢٣٩/٢، صحيح البخارى ٢٥٧٣/٦، صحيح مسلم ٣٧١/١، صحيح
ابن حبان ٨٧/٦، سنن الترمذى ١٢٣/٤، مسند أبى عوانة ٣٣٠/١١، مجمع الزوائد ١٨٢/١، سنن
الدارقطنى ١٣٤/٤، كتاب السنن ٣٦٠/١٢، مصنف ابن أبى شيبه ٣١٨/٦، مسند البزار ٢٥١/٢، مسند
أبى يعلى ١٧٦/١١

و من اسمائه العظام الحكمة، كما في قوله: «و آتيناها الحكمة و فصل الخطاب» [ص ٢٠] [١٧] فإن الموجودات اعنى الممكنات متميزة حال عدمها الكونى في علم الله الواحد. و يعلم الله تعالى بعلم واحد بسيط صور جميع الأشياء و يراها و يأمرها بالتكوين بأمر واحد هي كلمة "كُن" الوجودى، فما عند الله اجمال [١٨] بل الأمر كله في نفسه و في علم الله مفصل، و إن كان كله معلوما بعلم واحد لكن معلوماته كثيرة كثرة لا تحصى، و إنما وقع الاجمال في حقنا؛ [١٩] فمن كوشف بالتفصيل في عين الاجمال علما أو عينا أو حقاً فذلك العالم الذى اعطاه الله تعالى الحكمة و فصل الخطاب. و ليس ذلك إلا الانبياء (عليهم السلام) و الورثة لهم من العلماء الراسخين. و أما الفلاسفة المشهورون فليسوا من هذا المقام في شيء و لا يعلمون التفصيل في عين الاجمال كما يراه صاحب هذا المقام الذى اعطاه الله الحكمة و فصل الخطاب.

و هذه الحكمة عناية ربانية [٢٠] و موهبة إلهية لا يؤتى بها إلا من قبله تعالى كما قال: «يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً و ما يذكر إلا اولوا الالباب»، (البقرة: ٢٦٩) فإن هذه الآية تدل على ان الحكمة من مواهب الله التى لا تحصل بمجرد السعى و الاكتساب بل حصولها بالمشيئة الربانية لا غير. و لأجل ذلك ذكر انه من فضل الله في قوله تعالى: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم» [الجمعة ٤] بعد قوله تعالى: «و يعلمهم الكتاب و الحكمة»، [الجمعة ٢]

ففى هذه الآية اشارة إلى أن هذه الحكمة المعبر عنها تارة بالقرآن و تارة بالنور و عند الحكماء بالعقل البسيط هو من فضل الله و كمال ذاته [٢١] آتاه الله لمن اختاره و اصطفاه من خواص عباده و محبوبيه، كملك من الملوك يعطى خلعته و لباسه المخصوص لمن احبه من مقربيه، لأن الحكمة الحقّة من صفات الله الذاتية و لا ينالها احد من الخلق إلا بعد تجرده عن الدنيا و عن نفسه بالتقوى و الزهد الحقيقى و الفناء من شوائب الخليقة و الانخراط في سلك المهتمين من ملائكته و عباده المقربين حتى يعلمه الله من لدنه علما و يؤتيه حكمة و خيراً كثيراً و فضلاً عظيماً و يحياه حياة طيبة و جعل له نورا يمشى به في ظلمات الدنيا و برازخ القبور، كما في قوله تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ ميتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها»، [الانعام ١٢٢]

فقوله: «كان ميتاً فأحييناه» أى فانيا عن غير الله [٢٢] باقيا به، و النور الذى يمشى

به في الناس هو نور الله كما في قوله^١ (صلى الله عليه و آله): «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». [٢٣]

و من اسمائه الروح، قوله تعالى: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ» [غافر: ١٥] و قوله تعالى: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا». [النورى: ٥٢] [٢٤]

و من نعمته الحق، قوله تعالى: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ [٢٥] مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ [٢٦] لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا [التحل: ١٠٢] بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ» [السجدة: ٣] و قوله: «تلك آيات الكتاب و الذي أنزل إليك من ربك الحق و لكن أكثر الناس لا يؤمنون» [الرعد: ١] و قوله: «أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الالباب». [الرعد: ١٩]

و من القابه الشريفة الهدى، لأنه يهdy إلى الحق بل هو الحق، قوله تعالى: «ذلك هدى الله يهdy به من يشاء» [الزمر: ٢٣] و قوله: «هdy للمتقين الذين يؤمنون بالغيب». [البقرة: ٢-٣]

و من القابه الذكر، لأنه يتذكر به الأمور الآخرة و أحوال المبدأ و المعاد «فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم و إنه لذكر لك و لقومك و سوف تُسئلون». [الزخرف: ٤٣-٤٤]

و منها الشفاء، لأن به يقع النجاة عن الامراض النفسانية و الاسقام الباطنية و الآلام الأخروية من الجهل و الحسد و الكبر و النفاق و الرياء و الرعونة و الشهوة و الغضب و حب الجاه و سائر المهلكات و الامراض التي إذا استحكمت اعيت الاطباء الروحانيين عن علاجها، قوله تعالى: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هدى و شفاء و الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر و هو عليهم عمى أولئك يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ»، [فصلت: ٤٤] يعنى ان القرآن هدى و شفاء بالقياس إلى قوم - و هم الذين لم يفسد قرايحهم^٢ و لم يتغير فطرتهم الاصلية التي فطرهم الله عليها - و هو بعينه ضلال بالقياس إلى من فسدت قريحته و تغيرت فطرته، كما ان نور الشمس يقوى الابصار و هو عمى للخفائش، كما في قوله تعالى: «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً و لهم عذاب اليم». [البقرة: ١٠]

و منها الهدى و الرحمة، قال: ^١ «و ما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه و هدى و رحمة لقوم يؤمنون». [الحل ٦٤]

و صفات القرآن و نعوته كثيرة يؤدى ذكرها الى الإطناب فاكثفينا بما ذكر، لانه كاف للمستبصر.

قاعدة

فى وجوه الفرق بين كلام الله و كتابه

الفرق بين كلامه تعالى و كتابه كالفرق بين البسيط و المركب كما مرّ. و قد قيل: ان الكلام من عالم الأمر و الكتاب من عالم الخلق، و ان الكلام إذا تشخص صار كتابا [٢٧] كما ان الأمر إذا تشخص صار فعلا، كما قال: «الله الذى خلق سبع سماوات و من الارض مثلهن ينزل الأمر بينهن» [الطلاق ١٢] و قوله: «إنما امره إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون». [يس ٨٢] [٢٨] فالفرق بين الكلام و الكتاب بوجه كالفرق بين الأمر و الفعل، فالفعل زمانى متجدد كما ستعلم، و الأمر برىء عن التغير و التجدد، و الكلام غير قابل للنسخ و التبديل بخلاف الكتاب «يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب». [الرعد ٣٩] فصحيفة وجود العالم الفعلى^٢ الخلقى هى كتاب الله عزّ و جلّ، و آياته اعيان الموجودات [٢٩] «ان فى اختلاف الليل و النهار و ما خلق الله فى السّماوات و الارض لآيات لقوم يتّقون». [يونس ٦]

و أما كلمات الله التامّات فهى الهويات العقلية [٣٠] النورية التى وجودها عين الشعور و الاشعار و العلم و الاعلام. و كما ان كتاب الله مشتمل على الآيات «تلك آيات الكتاب المبين» [يوسف ١] فكلام الله [٣١] أيضا مشتمل على الآيات «تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق». [البقرة ٢٥٢] [٣٢]

و اعلم ان الأمر منه تكوينى و منه تشريعى. و الأمر التكوينى موجب للطاعة و القبول، فأطاعه^٣ الملك و الملكوت بخلاف الأمر التشريعى، لأنه امر بالواسطة، فيتطرّق إليه الإباء و العصيان و الطاعة و الاتيان فمنهم من اطاع و منهم من عصى.

١- فى المطبوعة: قوله

٢- ب العقلى

٣- ب فاطاعة

و اعلم ان النازل على اكثر الانبياء (عليهم السلام) من الله هو الكتاب دون كلام الله.^١ وهذا القرآن الذى انزل على محمد (صلى الله عليه و آله) كلام الله و كتابه جميعا باعتبارين، و أما ساير الكتب السماوية المنزلة على ساير المرسلين سلام الله عليهم اجمعين فإنها ليست بكلام الله بل كتب يدرسونها و يكتبون بأيديهم. فهذا المنزل بما هو كلام الله نور من أنوار الله^٢ المعنوية النازل من عنده على قلب من يشاء من عباده المحبوبين «و انك لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ» [الزلزال: ٥٢] و قوله: «و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا» [التورى: ٥٢] [و] قوله: نزل على قلبك بالحق^٣ و قوله: «بالحق أنزلناه و بالحق نزل» [الاسراء: ١٠٥].

و هو بما هو كتاب تقوش [٣٣] و ارقام و صور و الفاظ، و فيها آيات احكام نازلة من السماء نجوما على صحائف قلوب المنتجبين^٤ و الواح نفوس الطالبين و غيرهم يكتبونها فى صحائفهم و الواهم الحسية، بحيث يتلوها كل تالٍ و يقرأها كل قارٍ و يتكلم بها كل متكلم و بها يهتدون و بما فيها يعملون و يتساوى فى هداها الناس العوام و الخواص و الانبياء (عليهم السلام) و الأمم، كقوله: «هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان» [البقرة: ١٨٥] و قوله: «و انزل التورية و الانجيل من قبل هدى للناس» [آدمران: ٣-٤] و قوله: «و عندهم التورية فيها حكم الله» [المائدة: ٢٣].

و أما القرآن العظيم الكريم فيه عظامم الأمور الإلهية [٣٤] التى لا يصل إلى دركه إلا أهل الله خاصة لقوله: «و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما» [النساء: ١١٣] و فيه كرائم اخلاق الله [٣٥] التى تخلق بها رسول الله (صلى الله عليه و آله) لقوله تعالى: «و انك لعلی خُلِقَ عَظِيمٌ» [التلم: ٤] و كان خلقه القرآن كما نقل. و يدل على ذلك قوله: «هو الذى يُنَزَّلُ عَلَى عَبْدِهِ» [٣٦] آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور» [الحديد: ٩] بيان ذلك ان القرآن نور كما مر من قوله: «قد جاءكم من الله نور» [المائدة: ١٥] فإذا خرجت^٥ به نفوس امته من الظلمات إلى النور صاروا متصفين بالنور متخلقين به. [٣٧] فإذا كان حال الامّة هذا الحال فما ظنك بحال نبيهم (صلى الله عليه و آله).

١- ب الكلام

٢- ب أنواره

٣- فى المصحف الشريف: «فانه نزل على قلبك باذن الله» البقرة ٩٧

٤- المحبين

٥- ب اخرجت

دقيقة كشفية

و اعلم انه قد يكون شيء واحد كلاما و كتابا باعتبارين، لما علمت أن الأمر كلام الله، و الفعل كتابه، و أن القائم بالمتكلم كلام، [٣٨] و الصادر منه كتاب. [٣٩] فالإنسان مثلا - لكونه ذا درجات بحسب النفس و البدن، و هو بحسب كل مقام غير خارج عن الهوية الإنسانية - إذا تكلم بالفاظ و حروف مسموعة فإذا نسبت تلك الالفاظ و الحروف إلى نفسه كان كتابا له و فعلا صادرا عنه صنعه و كتبه في لوح الهواء أو في مخارج الحروف من^١ الاعضاء، و إذا نسبت إلى شخص بدنه كان كلاما قائما بشخصه لا كتابة صادرة عنه.

و كذا القياس إذا تحدث بحديث النفس كان باعتبار نسبته إلى عقله المجرد بالصدور كتابا و من حيث قيامه بالنفس و اتصافها به كلاما لها، فهو كتاب لعقله و كلام لنفسه. و كذا الحال في الكتابة [٤٠] الموجودة في لوح أو قرطاس [٤١] يمكن اعتبار الحالين فيها بالصدور و القيام و لو بتعمل. تأمل في ذلك فإنه دقيق لطيف يرفع به الخلاف بين الطائفتين.

قاعدة

في وجوه الفرق بين انزال كلام الله [٤٢] على قلب النبي

و بين انزال الكتب السماوية و تنزيلها على ساير الانبياء

قوله تعالى: «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه» [آل عمران: ٣] أي نزل على قلبك حقايق القرآن و أنواره متحلية بسرّك [٤٣] لا صورة الفاظ مسموعة [٤٤] أو مكتوبة على الواح زمردية مقروءة لكل قار. دليل ذلك قوله تعالى: «و بالحق انزلناه و بالحق نزل» [الاسراء: ١٠٥] يعني نزل بالحقيقة لا بالتصوير و الحكاية، و قوله: «ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا» [التورى: ٥٢] يعني ما كنت تكتسب بالدراية و الفهم صورة ما في الكتب العلمية و لست تتعلم الايمان من معلم غير الله، و لكن جعل الله قلبك نورا عقليا [٤٥] تتنور به حقايق الأشياء و يهتدى به إلى الملكوت الارض^٢ و السماء، و قوله: «و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تحطه

١- (من الاعضاء... القياس إذا) ليست في ب

٢- (الارض... لارتاب) ليست في ب

بيمينك إذا لارتاب المبتلون بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم». [التكوير ٢٨-٢٩] وقد وقعت الإشارة إلى أن تعليم القرآن من قبل الله بأن يتجلى بنور الحكمة الذي هو حقيقة الكلام و نور الايمان على قلب من كان من عباده الكرام و احبائه العظام. و بالجملة القرآن خلق النبي [٤٦] (صلى الله عليه و آله) كما مرّ و ساير الكتب ليسب كذلك، [٤٧] و بالجملة من علّمه الله القرآن بهذا التعليم كان عليه من الله فضلا عظيما، كما قال لحبيبه (صلى الله عليه و آله): «و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما» [النساء ١١٣] بل نقول التعليم على ثلاثة أقسام: تعليم بشري و تعليم ملكي و تعليم الهى.

و الاول كما لسائر الناس، و الثانى كما لسائر الرسل (عليهم السلام) كأن يمثّل لهم الملك و يعلمهم الكتاب، و الثالث كما لخواص الانبياء و عظماء الاولياء عند عروجهم المعنوى إلى الله. و إلى هذه الأقسام الثلاثة [٤٨] اشار بقوله تعالى: «ما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولا». [الشورى ٥١]

فالاول هو التعليم الالهى و الثانى هو الملكى و الثالث هو البشرى فافهم ان كنت من أهله. و لا يفهم هذه الرموز إلا من خرج طائر روحه الامرى من قالبه البشرى و نفسه فإنه منطلق الطير، و أنت بعد بيضة محبوسة في القشر الصورى لست من السيارين في أرض الملكوت و لا من الطيارين في جوّ الجبروت.

وجه آخر من الفرق انه قال تعالى: «و آتينا موسى الكتاب و جعلناه هدى لبنى اسرائيل» [الاسراء ٢] و قال: «و انزل التوراة و الانجيل من قبل هدى للناس» [آدمران ٣-٢] و قال في حق القرآن: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين». [البقرة ٢] و الفرق ظاهر بين كتاب فيه هدى للناس و يستوى في هداية الانبياء (عليهم السلام) و الأمم و بين كتاب فيه هدى الانبياء و المتقين من هذه الأمة المخصوصين بالعناية، كما قال: «و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا». [الشورى ٥٢]

وجه آخر قال: «و كتبنا له في الألواح من كلّ شىء موعظة» [الاعراف ١٤٥] و قال في حق القرآن: «فأوحى إلى عبده ما أوحى» [النجم ١٠] و قال: «يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و انزلنا اليكم نورا مبينا». [النساء ١٧٤] و الفرق عظيم بين الكتابة و الوحي [٤٩] و كذا بين الموعظة و البرهان.

ثم انه جعل الله تشریف ساير الانبياء (عليهم السلام) مثل تشریف هذه الأمة المرحومة لمحمد (صلى الله عليه و آله) حيث قال لهذه الأمة: «اولئك كتب في قلوبهم

الايان» [المجادلة ٢٢] فشأن بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الالواح و بين نبي تشرف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم.

وجه آخر: القرآن منزل على قلب الرسول و سايز الكتب نازلة على صدر الانبياء. [٥٠] و فرق بين تعلمهم الكتاب و بين تعلم نبينا الكتاب، فكانوا يتدارسون [٥١] الكتب و خاتمهم (صلى الله عليه و آله) كان متخلقا بالقرآن.

وجه آخر في الفرق بين ما أفاد له (صلى الله عليه و آله) تنزيل الكلام^١ و بين ما أفاد لهم (عليهم السلام) إنزال الكتب، فإن أفاد [٥٢] الإنزال لهم الحكمة فقد أفاد له (صلى الله عليه و آله) ان أوتي جوامع الكلم، [٥٣] و به فضل على الانبياء [٥٤] (عليهم السلام) و بخمسة أمور أخرى لقوله (صلى الله عليه و آله): «فُضِّلْتُ على الانبياء بست»^٢.

و كذا تحقق الفرق بين تصرف تنزيل الكلام على قلبه و تصرف الإنزال عليهم، فإن كان إنزال الكتب تصرف فيهم بأن كان الكتاب مع أحدهم نورا من الله يجيء به إلى امته ليكون هدى لهم كما قال تعالى: «قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا و هدى للناس» [الانعام ٩١] فإن تصرف تنزيل القرآن على قلبه جعله نورا من الله يجيء إلى الامة و معه الكتاب لقوله: «قد جاءكم من الله نور» - و هو محمد (صلى الله عليه و آله) - و كتاب مبين» [المائدة ١٥] [٥٥] فشأن بين نبي يجيء و يكون هو بذاته نورا [٥٦] و معه كتاب، و بين نبي يجيء و يكون معه نور من الكتاب.

هذا و قد انكشف عليك من تضاعيف ما ذكرناه لك ان الكلام غير الكتاب و ان الحكمة و النور و القرآن و الكلام الالهى يجرى بجرى الالفاظ المترادفة في لسان هذا الكتاب، و انها جميعا عبارة عن مرتبة العقل البسيط الذي فيه حقايق الأشياء مجملة و ان الكتاب عبارة عن مقام نفسى^٣ فيه صور العلوم التفصيلية. و نسبة الاول إلى الثانى كنسبة الكيمياء إلى الدنانير و كنسبة البذر إلى الشجرة بل كنسبة المبدأ الفاعل إلى مجعولاته.

١- ب الكتاب

٢- صحيح مسلم ٣٧١/١، سنن الترمذى ١٢٣/٤، مسند احمد ٤١١/٢، صحيح ابن حبان ٨٧/٦، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ١٢٦/٢، سنن البيهقى الكبرى ٤٣٣/٢، مسند أبى يعلى ٣٧٧/١١ و ذكر خمسا في الفقيه ٢٢٠/١، الخصال ٢٩٢، الفضائل ١٦٨ و غيرها.

٣- ب نفسه

قاعدة

في الإشارة إلى عمدة مقاصد

الكتاب الالهى و اصول معاقده و احكامه

اعلم اولاً ان سرّ نزول القرآن و مقصده الاقصى و لبابه الاصفى دعوة العباد إلى الملك الأعلى ربّ الآخرة و الاولى. و الغاية المطلوبة فيه تعليم ارتقاء العبد من حضيض النقص و الخسران إلى اوج الكمال و العرفان و بيان كيفية السفر إلى الله طلباً للقائه و مجاورة لمقرّبيه و تنعماً للروح السعيدة [٥٧] بما في حضرة ملكوته و انسراحاً للنفس في روضات جنّاته و نجاة لها عن دركات الجحيم و مجاورة موزياتها و التعذيب بنيرانها و عقاربها و حيّاتها. و لأجل ذلك انحصرت فصوله و ابوابه و سوره و آياته في ثلاث مقاصد هي كالدعائم و الاصول و الاعمدة المهمة، و ثلاثة اخرى هي كالروادف و المتممات و اللواحق و المعينات.

أما الاصول المهمة فأولها معرفة الحقّ الاول و صفاته و أفعاله. و ثانيها معرفة [٥٨] الصراط المستقيم [٥٩]. و درجات الصعود إلى الله و كيفية السلوك عليه [٦٠] و عدم الانحراف عنه. و ثالثها معرفة المعاد و المرجع إليه و أحوال الواصلين إليه أو إلى دار رحمته و كرامته و أحوال المبعدين عنه و المعذّبين في دار غضبه و سجن عذابه، و هو علم المعاد و الايمان باليوم الآخر.

و أما الثلاثة الأخيرة فأحدها معرفة المبعوثين من عند الله لدعوة الخلق و نجاة النفوس عن حبس الجحيم و سوقهم إلى الله. و هم قوّد سفر الآخرة و رؤساء القوافل. و المقصود منه الترغيب إلى الآخرة و التشويق إلى الله. و ثانيها حكاية أقوال الجاحدين و كشف فضايحهم و تسفيه عقولهم في غوايبتهم و ضلالتهم و تحرّيم طريق الهلاك. و المقصود فيه التحذير عن طريق الباطل و التثبّت على الطريق المستقيم.

و ثالثها تعليم عمارة المنازل و المراحل إلى الله و العبودية و كيفية اخذ الزاد و الاستعداد بريضة المركب و علف الدابة لسفر المعاد. و المقصود منه كيفية معاملة الإنسان مع اعيان هذه الدّنيا التي بعضها داخله فيه كالنفس و قواها الشهوية و الغضبية برياضتها و اصلاحها حتى لا يكون جموحاً بل رائضة حمولة يصلح للركوب في السفر إلى الآخرة و الذهاب إلى الربّ تعالى، كما في قوله تعالى حكاية عن الخليل (عليه السلام): «إني ذاهب

إلى ربى سيهدين» [الصفات ٩٩] وهذا العلم يسمّى تهذيب الاخلاق، [٦١] وبعضها خارجة إما بمجموعة في منزل واحد كالوالد والولد والأهل والخدم و يسمّى تدبير المنزل، أو في مدينة واحدة أو أكثر و يسمّى علم السياسة واحكام الشريعة كالقصاص و الديات والاقضية والحكومات وغيرها.

فهذه ستة أقسام من مقاصد القرآن و نحن نقتصر في هذا الكتاب على ايراد القواعد المتعلقة بالثلاثة المهمة التي هي بالحقيقة اركان الايمان و اصول العرفان. و قد فتح على الله على قلبنا من ابوابها ما لم يذكر في شيء من المصنفات من أسرار الآيات و رموز الكلام الالهي.

و أما قواعد العلوم الفرعية فقد نصب الله لها اقواما قد استفرغوا جهدهم في تحصيلها و فنوا اعمارهم في شرحها و تفصيلها شكر الله حسنات مساعيهم و اتاهم جنات الأعمال جزاء بما كانوا يعملون.

فالقصد الاول - و هو المعروف بمعرفة الربوبية - مشتمل كما اشرنا إليه على ثلاث مراتب: معرفة الذات الإلهية و معرفة صفاتها و اسمائها و معرفة أفعالها.

أما معرفة الذات فهي اضيقها مجالاً و ارفعها منالاً و ابعدها عن الفكر و الذكر، إذ حقيقة الواجب [٦٢] جلّ مجده هوية بسيطة غير متناهية الشدة في النورية و الوجود، و حقيقته عين التشخص و التعين، لا مفهوم له و لا مثل و لا مجانس و لا مشابه له و لا حد له و لا برهان عليه بل هو البرهان على كل شيء، فلا اعرف من ذاته و لا شاهد عليه بل هو الشاهد على الكل «أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد، [فصلت ٥٣] هو قائم على كل نفس بما كسبت، [الرعد ٣٢] و هو القاهر فوق عباده، [الانعام ١٨] و عنت الوجوه للحى القيوم، [طه ١١١] [٦٣] و ليس للمعلول المقهور عليه ان يحيط بعلمه العلة له و القاهر عليه و إلا لا تقلب المعلول علة و المقهور قاهراً و هو محال. «و يحذركم الله نفسه و الله رؤوف بالعباد»، [آد عمران ٣٠] [٦٤]

و لهذا ورد النهى عن التفكير في ذات الله كقوله: ^١ «تفكروا في آلاء الله و لا تفكروا في ذات الله»، ^٢ و لأنه تحترق النفس في إدراك اشعة نور وجهه فكيف في نور وجهه؟ فلا يمكن الوصول إلى معرفة ذاته إلا بفناء السالك عن نفسه و باندكاك جبل آتيته حتى

١- أ لقوله

٢- راجع لما في معناه الكافي ٩٢/١ و ٢٢٨، البحار ٣٢١/٧١، شرح غرر الحكم ٣٠٥/٥ و ٣٠٨، اعتقاد أهل السنة ٥٢٥/٣

شهد ذاته تعالى على ذاته، [٦٥] كما قال بعض العارفين: «عرفت ربّي وربّي و لولا ربّي ما عرفت ربّي».^١

و عن أبي عبد الله (عليه السلام): «من زعم انه يعرف الله بحجاب [٦٦] أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأن الحجاب و المثل و الصورة غيره [٦٧] و إنما هو واحد متوحد».^٢ [٦٨] وكيف يوحدّه من زعم انه عرفه بغيره و إنما عرف الله من عرفه بالله [٦٩] فمن لم يعرفه به فليس يعرفه و إنما يعرف غيره».^٣

و لأجل ذلك [٧٠] لا يشتمل القرآن من معرفة الذات في الاغلب إلا على تقديسات محضة و تزيهات صرفة و سلوب عن نقائص و امكانات، كقوله: «لا إله إلا هو» [البقرة: ٢٥٥] و كقوله: «ليس كمثله شيء» [الشورى: ١١] و كقوله: «و الله الغنى [٧١] و انتم الفقراء» [محمد: ٣٨] و كسورة الاخلاص، أو على تلويحات و اشارات إلى التعظيم المطلق، كقوله: «سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون» [الصافات: ١٨٠] و قوله: «فسبح باسم ربك العظيم» [الواقعة: ٧٤] [٧٢] و «سبح اسم ربك الاعلى» [الاعلى: ١] و قوله تعالى: «سبحان الله عما يصفون» [الصافات: ١٥٩] [٧٣] أو اضافات محضة كقوله: «يدع السماوات و الارض» [البقرة: ١١٧] و قوله: «و هو الذى فى السماء إله و فى الارض إله» [الزخرف: ٨٤]

و أما الصفات فالجمال للفكر فيها افسح و نطاق النطق فيها اوسع لأنها مفهومات عقلية يقع فيها الاشتراك، إلا انها فيه على وجه اشرف و أعلى و ان مصداقها فى الاول تعالى ذاته بذاته و فى غيره ليس كذلك. و لأجل ذلك اشتمل القرآن على ذكر تفاصيلها فى كثير من الآيات، كما فى قوله: «و هو السميع العليم» [البقرة: ١٣٧] و قوله: «هو العزيز الحكيم» [ابراهيم: ٤] و كقوله: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر» [الحشر: ٢٣] و قوله: «هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى» [الحشر: ٢٤] و فى هذا القسم أيضا غموض شديد و تعسر تام، و لا يمكن معرفة بعض الصفات كالكلام [٧٤] و الصفات التشبيهية إلا لأهل البصائر الثاقبة كالسمع و البصر و الاستواء على العرش و

١- ب ذاته على ذلك

٢- اسند المناوى الفقرة الاولى من هذا الكلام الى أبى بكر فى فيض القدير ١٨١٦ ثم قال: «و سئل مصباح التوحيد و صباح التفريد على كرم الله وجهه بم عرفتك قال: بما عرفتني به» الخ. و فى دعاء سيد العابدين (عليه السلام): «بك عرفتك و لولا انت لم أدر ما انت» مصباح المتهجد ٥٨٢

٣- فى المصدر: موحد

٤- فى المصدر: فكيف يوحد

٥- التوحيد ١٩٢

الابتلاء و المماكرة و التردد و الذهاب و الحىء و الكراهة و التأذى و كالوجه و اليد و الجنب و القدم و غير ذلك مما لا يعرفه إلا الراسخون فى العلم.

و أما الأفعال [٧٥] فبحر متسع اطرافه، و لكل احد ان يخوض فيه و يسبح فى غمراتها بقدر غزارة علمه و قوة سياحته، لكن لا ينال بالاستقصاء اطرافه لأنها مرتبطة بالصفات [٧٦] كما الصفات [مرتبطة] بالذات بل ليس فى الوجود إلا ذاته و صفاته و أفعاله التى هى صور اسمائه و مظاهر صفاته، لكن القرآن مشتمل على الجلى منها الواقع فى عالم الشهادة تصريحا و تفصيلا و على الخفى منها الواقع فى عالم الغيب تلويحا و اجمالا.

فالاول كذكر السماوات و الارض و الكواكب و الشمس و القمر و الجبال و البحار و السحب و الامطار و ساير اسباب الكائنات و الحيوان و النبات، لكن اشرف صنائع الله و اعجبها و اعظمها و ادلها على جلال الله [٧٧] و علوه و مجده ما هو محجوب عن الحس بل هو من عالم الملكوت. [٧٨] و هى الملائكة و الروحانيات و الروح و العقل و النفس و اللوح و القلم بل العرش و الكرسي عند بعض، [٧٩] فإن هذه كلها خارجة من عالم الملك و الشهادة.

و من ادانى عالم الملكوت هى الملائكة العمالة [٨٠] الموكلة بعالم الارضين.

و منهم كتبة الأعمال و ملائكة جانب الشمال و كرام الكاتبين، قوله: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»، [١٨] و جاءت كل نفس معها سائق و شهيد»، [٢١] فالسائق للعمل و الشهيد للاعتقاد. «و قال قرينه هذا ما لدى عتيد» [٢٣] و قوله: «و ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون»، [الانفطار ١٠-١٢]

و منهم اعوان ملك الموت و سدنة النيران «خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلقوه»، [الحاقة ٣٠-٣٢]

و منهم الساكنين فى البرارى و الجبال، و دونهم الجن و الشياطين المسلطين على جنس الإنس الذين امتنعوا عن السجود لآدم (عليه السلام).

و من اعاليمهم الملائكة السماويون «ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته و

١- ليس مراده (قده) ان الجن من ادانى عالم الملكوت، لأنهم بنص القرآن و الروايات مكلفون بالايمان و الاعمال الصالحة فيعدون من الموجودات المادية ذوات النفوس المجردة الا ان ابدانهم الطيف من البدن الانسانى المشهود، يتوالدون بالقاء الهواء كما ان بنى آدم يتوالدون بالقاء الماء. و اعلم ان اهل الله لا يمتحنون كثرة مرادتهم و ان بعضهم مسلطون على بنى آدم، و فى المقام اسرار لايسغه الافهام. اللهم اربنا الاشياء كما هى و سدونا و اشغلنا بك عن سواك.

يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ، [الاعراف ٢٠٦] يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ». [فصلت ٣٨]

و أعلى منهم حملة العرش و الكروبون و هم العاكفون في حظيرة القدس، لا التفات لهم إلى هذا العالم بل لا التفات لهم إلى غير الله لذهولهم عن ذواتهم و استغراقهم في شهود الحضرة الإلهية. و هم من أهل الفناء في التوحيد و يقال لهم الملائكة المهيمة. و لا يستبعد أن يكون في عباد الله من يشغله مطالعة جلال الله عن الالتفات إلى نفسه فضلا عن غيره.^١ و قد ورد في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): «إن الله أرضا بيضاء [٨١] مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما هي مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله يعصى في الأرض و لا يعلمون أن الله خلق آدم و ابليس».^٢

١- و ان استبعدت ذلك فتذكر نساء مصر كيف غفلن عن انفسهن اذا رأين يوسف و اكبرته و قطعن أيديهن! فاذا كان هذا حال يوسف و حسنه الظاهري و امياهن الحيوانية فما ظنك برب يوسف و من شاهد جماله و جلاله المطلق؟! و

٢- الروايات الواردة بهذا المضمون محمولة على الأرواح المهيمة الذين ليسوا واسطة لتسطير الكلمات الوجودية و إن كان يمكن حمل بعضها عليها كقوله «إن الله خلق جبلا يحيط بالدنيا» الخ و «أن من وراء أرضكم هذه أرضا بيضاء ضوءها منها» الخ (البصائر ٥١٢ و ٥١٠) أى ضوء الأرض و هو وجودها من تلك الأرض البيضاء.

أما ما ورد في سائر روايات الباب: «لا يعلمون أن الله خلق آدم و ابليس» فلما لم يكن لهم علم بذلك فليسوا واسطة في افاضة الوجود على الاشياء، و الصفات المذكورة لهم لاتناسب إلا مع التجرد المحض و عدم الواسطة بينهم و بين الحق تبارك و تعالى. فينقدح السؤال في كيفية الجمع بين قاعدة الواحد و الملائكة المهيمين و أنهم متقدمون على العقل الأول أو يكونون في مرتبة واحدة؟ و هي من العويصات العرفانية جدا، أفاد الحق الأشتياني قدس سره في المقام ما ملخصه بترجعتنا: أنه لما كان النفس الرحمانى - و هو الصادر الأول - صورة التعيين الأول الذى هو متحد بجميع التعينات، فرفائق جميع النسب منطقية فيه لاتحاد الظاهر و المظهر. فالصادر الأول ظاهر بجميع التعينات، و نسبتة إلى جميع الممكنات نسبة واحدة استوائية إلا ان قبول الفيض يناط إلى قابلية القابل لا غير. فالقابل الذى يمكنه قبول الفيض ابتدائا و لا يحتاج إلى واسطة بينه و بين الحق تعالى يوجد بلا تراخ في المرتبة الأولى. ثم لو كان هناك أشياء كثيرة مشتركة في هذا الحكم و لم يكن بينها تناكر بالذات - كالعقل الأول و الأرواح المهيمة، لأن العقول كلها في حكم امر واحد - فكلها تقبل الفيض في مرتبة واحدة، و لكن المهيمين لشدة هيمنتهم في الحق تعالى و لكونهم مظاهر لجلاله نائلا بالحق المطلق ليسوا واسطة الاجادة. و العقل الأول لكونه مظهرا لجماله تعالى نائلا بالجمع بعد الفرق يكون واسطة الافاضة. انتهى (أساس التوحيد ٤٨٤-٤٨٥)

ان قيل: ان وحدة الوجود المنبسط هي الوحدة الحقة الظلية فتجرى فيه قاعدة الواحد. فالاشكال باق و هو انه لم صدر عن الواحد الحقيقي اشياء متكررة في مرتبة واحدة؟ فلو كان استواء النسبة و عدم الواسطة في قبول الفيض موجبا لجواز ظهور الاشياء المشتركة في هذا الحكم عن النفس الرحمانى فليجز ظهورها عن الحق تعالى أيضا.

اقول: لا يصدق استواء النسبة هنا، لأن نسبة الصادر الأول إلى الحق ليست كنسبة العقل الأول و المهيمين اليه تعالى، لأنه وجه الرب، و لا يعقل وجه الواحد الا واحدا، فلا يتصور في عرضه شئ حتى يصدر الجميع في مرتبة واحدة، فتأمل.

و أكثر الخلق إدراكهم مقصور على عالم الحسّ و التخيل، و انهما النتيجة الأخيرة من نتائج عالم الملكوت، و هو القشر الأقصى من اللبّ الاصفى. و من لم يجاوز هذه الدرجة لا يعرف من القرآن إلا ما له نسبة القشر الأخير من الجوز و البشرة من الإنسان.

فهذه مجامع القسم الاول من الثلاثة الاصول. و قد انقسم إلى ثلاثة أقسام، فهي مع القسمين الأخيرين اللذين احدهما: معرفة النفس و أحوال الآخرة و كيفية صعودها إلى الله و مرورها على الصراط المستقيم و سلوكها درجات طريق الحقّ أو هبوطها و انحرافها عن الصراط و سقوطها عن الفطرة و مرورها على دركات الجحيم، و ثانيهما: معرفة المعاد و أحوال يوم القيامة و البعث و الحشر و الصراط و الميزان و الحساب و الكتاب و الثواب و العقاب في الجنة و النار؛ فالمجموع خمسة أقسام تذكرها في اطراف ثلاثة.